عدم تفسير النبي ﷺ للآيات المتعلقة بنشأة الكون وأسرار الوجود

تكمن وراءَ عَدَمِ تفسير النَّبي للآيات المتعلقة بنشأة الكون، والمنوطة بأسرار الوُجُود، والمرتبطة بالآفاق والأنفُس، جُملَةٌ من الأسباب الحيوية والحِكَمِ النَّبوية المؤيَّدة بالوحي، والتي استنبطها العلماء؛ إذ أوعزوا ذلك إلى ما يأتي:

١ - لتوجيه الفكر، والنظر فيهما أودعه الله سبحانه في هذا الكون الفسيح من أسرار وسُنن.

٢ - لكي تتطور حركة العقل الإنساني، وتتفتح أمامه أبواب التقدم العلمي في كُلِّ زمان ومكان.

٣ - لفسح المجال للأجيال المقبلة لكي تنال شرف الإسهام في خدمة القُرآن الكريم؛ ولا سيما في هذا العضر المسمّى بـ «**عَصْر الذرة والطاقة الذّرِيَّة**»؛ للتدليل على الإعجاز العلمي للقرآن الكريم.

ثُمَّ حمل الصَّحَابَةُ لواء هذا العلم بعد رسول الله ﷺ ، وكانوا في ذلك أفقَهَ الأُمة، وأعلَمَهُم بمقاصد الشَّرْع؛ لتلقيهم المباشر عن رَسُول الله ومعايشتهم له، ولما امتازوا به من العقل الرشيد والفهم السّديد والفكر النير رضوان الله عليهم أجمعين.

****

ميزات تفسير القرآن في عهد الصحابة رضي الله عنهم:

لتفسير القرآن الكريم في عهد الصحابة الكرام جملة من الميزات، أهمها ما يأتي:

١- لم يُفسر القُرآنُ جميعُهُ؛ وإنَّما أقتُصِرَ على تفسير بعض آيات الأحكام، وما غَمَضَ منه.

٢ - كان التفسير واضحاً خالياً من كُلّ تعقيد؛ لذا قلت الاختلافات في فهم معاني القُرآن، وكان يسيراً كُلَّ

اليسر؛ لذا كانوا كثيراً ما يكتفون بالمعاني الإجمالية.

٣- لم يُدوّن التفسير في هذا العصر في كتابٍ مُستقل كما نُشاهِدُهُ الآن؛ لأنَّ التَّدوين لم يكُنْ قد بدأ بعد؛ وإنَّما كان يُلقى شِفَاهاً، وقد اتخذ شكل رواية الحديث؛ بَلْ كان جُزءاً منه.

٤- ندرة استنباط الأحكام الفقهية، وعَدَم وُجُوب الانتصار للمذاهب؛ لعدم ظهور الخلاف المذهبي الذي

نشأ بعد عضر الصحابة .

****

معتمد الصحابة في التفسير:

كان الصَّحَابةُ يعتمدون في تفسيرهم للآيات - التي يبادرون لتفسيرها، أو يُسألون عنها – على أشياء

ثلاثة عُدَّتْ مصادرهم الرئيسة في هذا الباب؛ وهي:

١ - القرآن الكريم؛ فهو يُفسر بعضه بعضاً.

٢ - السُّنَّة النبوية؛ إذ كانوا مُطَّلعين عليها، حافظين لها.

٣- أجتهادُهُم، معتمدين على تبحرهم في اللُّغة، وعلى عُلُو كَعْبهم في الفصاحة والبلاغة، وعلى سعة إدراكهم، ومعرفتهم بأسباب النزول، والمكي والمدني، والناسخ والمنسوخ، وبعادات العرب وأنماط عيشهم وسَنَنِهم في الخطاب... وغير ذلك.

****

اتساع الخلاف في تفسير القرآن في عهد التابعين :

ويرجع ذلك إلى سببين جوهريين أثنين؛ هما:

١ - البعد عن عهد الرسول ﷺ.

٢ - الاختلاط بأهل البلاد المفتوحة الذين أسلموا وكانوا لا يفهمون اللُّغة العربية؛ فكانت حاجة النَّاس إلى

التفسير في هذا العصر أشدَّ مما كانت عليه في أي وقت مضى

****

أهم المدارس التفسيرية في عهد التابعين :

وقد نشأت في هذا العصر جُملةٌ من المدارس التفسيرية في أنحاء متعدّدة من الأمصار الإسلامية التي قطنها وتواجد فيها أكابر الصَّحابة الذين استقطبوا التَّلاميذ النجباء من أصْحَابهم من جيل التابعين رحمهم الله؛ فحملوا لواء عِلْم التَّفسير من بعدهم وكانوا التَّرْجُمانَ الأمين لعِلْمِهِمُ الغزير إلى الأجيال اللاحقة، وأهم تلك المدارس **وأشهرها ثلاث** هي:

١- **مدرسة مكة**: وهي التي أرسى قواعِدَها الصَّحَابِيُّ الجليل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وأشهرُ تلاميذها: التابعي الجليل مُجاهد بن جبر المكي.

٢- **مدرسة المدينة:** وشيخها ومؤسسها الصَّحَابِيُّ الجليلُ أَبيُّ بنُ كَعْبٍ رضي الله عنه، وأشهر تلاميذها: التَّابعي الجليل أبو العالية رفيعُ بنُ مَهْرَانَ الرِّياحي الله.

٣- **مدرسة الكوفة**: وهي التي أسسها وأقام دعائِمَهَا الصَّحَابِيُّ الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وأشهر تلاميذها: التابعي الجليل الحسن البَصْرِيُّ.

****

ميزات تفسير القرآن في عهد التابعين:

لتفسير القرآن في عهد التابعين ميزات عديدة، أهمها:

١ - **صُنف في التفسير**، وظَهَرَتْ تفاسير شاملة لأكثر آيات القُرآن؛ ولَكِنَّها ظلَّتْ في شكل رواية الحديث؛ بَلْ كانتْ جُزءاً منه؛ بمعنى أنها لم تُدوّن في الكُتُب؛ بَلْ بقيت محفوظةٌ في الصُّدُور.

٢ - **أتَّسَعَ التَّفسيرُ بالرَّأي**، وظهرت في الأفق بوادِرُ الخِلَافِ المذهبي حَوْلَ بعض الآيات.

٣- دُخُولُ بعض الإسرائيليات في التفسير؛ بسبب رُجُوع بعض المفسرين من التابعين إلى من أسلم من عُلماء أهل الكتاب؛ ككعب الأحبار، وعبد الله بن سلام، ووهب بن منبه، وتساهلهم في الأخذ عنهم؛ ولا سيما حول بدء الخليقة، وبعض القصص القرآنية.

****